علي الطائي

في يوم ما

دخلت على وطن ،
كنت أحسّ الصباح تسلل بين دمائي
وكل الفيوم تجمعت الآن في غيمة .
هنا النخل يفتح أحلامه للفيوم ؟
فقلبي تصاعد في فرحي غيمة ،
وكل الفيوم تجمعت الآن في فرحي
هنا وطن ؟
وهنا أستطيع أعانق تلك السماء ؟
دخلت ،
وكنت أحسّ بأن الرياح ردائي
هنا داخلي ،
ساحة أوقدت نفسها ،
وكل ابتسامات حزني
وأطفأها النخل ، أوقد أحلامه فرحا ،
ثم طاف دوائر خضراء زرقاء ،
وردية في عيوني .. احتواني .. اذن ،
هنا وطن ،
أستطيع أعانق فيه ظلالي
وأنقشها فوق زنديه صقرا
وفي فمه غصن نار
هنا أستطيع .. ولكن
هنا وطن يستطيع يحولني !
في يديه رياحا ، على صدرها
يعلق أوسمة النار ،
أو كل أوسمة الشجر المثمر
هنا وطن صرت فيه وطن .

بغداد

ومع ذلك فمن خلال هذا الخاص قدم العام ، وكل هذه وسائل يتستر خلفها ... مرة اخرى ، هذا هو فن الاخفاء ، او الفن في اخفاء الفن .

والموضوع واحد في القصتين الاخيرتين من العدد : « الرغبة الاخيرة » لبديعة امين ، و « علب السردين » لمصطفى المسناوي : هو ما ينتاب صاحب السلطان احيانا من استبداد وقهر وتسلط وعبث بالمصائر ، اما الشكل فمختلف . فقصة الرغبة الاخيرة لبديعة امين تصل الى هذه النتيجة من خلال « حكاية » طريفة وساخرة لاذعة السخرية ، تستخدم فيها الكاتبة ذكاءها في احكام حبكة الاحداث .

وتضع القصة كل مرارة القهر الانساني في تلك الحكاية البسيطة ، حكاية رجل ادانته رغبة صغيرة في ممارسة حريته وقادته الى المشنقة ، وانقذته رغبة ضئيلة اعطيت له قبل الاعدام وبين هاتين الرغبتين لا تساوي حياة الانسان اكثر من اخطار على ورقة بأن ملابس السجين قد سلمت .

اما قصة « علب السردين » فتقول بشكل مباشر ان القهر وكبت الحريات قد بلغ حدا جعل الحكام يسجنون الاطفال ان تحدثوا في السياسة في علب السردين .. ولكن هذا الذي قيل الان في جملة يقوله الكاتب في حكايا طويلة (ست شهادات) ومن خلال خليط عجيب . فكل شهادة تبدأ كقصة واقعية مسرفة في تكديس هموم الحياة المعاشة لطوائف مختلفة من الناس ، ثم تنتهي الحكاية بعلبة سردين بداخلها طفل صغير (يتكلم في نهاية القصة) . قد لا يرتاح صاحب القصة الى ما اقول ، وقد يتفق معه البعض ، ولكني بدوري لا ارى العمل الذي لا يتسق اتساقا عضويا الا عملا شائها ، وبوحي من هذا اقبل قصة من عالم الحيوان يدور الحوار فيها كاملا بين الثعالب والثعالب ، ولا ارتاح لقصة كقصة يوسف ادريس « حمال الكراسي » التي يصف فيها جوا واقعيا في ميدان الاوبرا بالقاهرة الذي نراه ونمر به كل يوم ويطلق في ذلك الميدان مخلوقا خرافيا ، او مسخا لانسان مستحيل يحمل كرسي العرش رامزا بذلك المسخ الى الشعب.

ماذا اراد صاحب « علب السردين » ؟ اراد ان يستخدم نوعا من الرمز فجعل علب السردين ترمز الى زنزانات السجون ، والاطفال ترمز الى القلوب الخضراء النقية التي تضال من قلب اللعب ؟ .. اوليس هذا الرمز وسط ركام واقعي من الحياة المعاشة رمزا ساذجا ؟

وعلى اية حال فان ما اقول ليس الا وجهة نظر ، قد يتفق او يختلف معي الكثيرون حولها ، ونحن نتفق او نختلف كثيرا ولكن نظل اصدقاء في كل الاحوال .

القاهرة